مصطلح الوسط والوسطية بين الإفراط والتفريط (دراسة تأصيلية)

إعداد
د. ياسر بن عبد الرحمن اليحياء
الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة القصيم

Prepared By: Dr. Yasser Abdulrahman Al Yahya
Associate Professor In The Department Of Ageedah (Creed) And The Contemporary Philosophies, College Of Sharia & Islamic Studies, Qassim University
yhiea@qu.edu.sa

١٤٤٣هـ ٢٠٢١م

ملخص البحث

يقوم البحث بتوضيح مصطلح الوسط والوسطية في دلالته اللغوية واستعمالات الشرعية، وأنها لا تخرج عن محددين **(الخيرية مع البينية حسية كانت أو معنوية)**، وتتجلى هذه الوسطية بمظاهرها المتمثلة في جميع نواحي الدين، ابتداءً بالعقائد والسلوك، ومروراً بالشعائر والعبادات، وانتهاءً بالتشريعات والمعاملات، وبضبط هذا المصطلح وإحكامه نقطع الطريق على طرفي الجفاء والغلو في ادعاء هذا المصطلح أو التلبيس من خلاله.

Research Summary:

The research clarifies the terms moderate and moderation through their linguistic meaning and Shari'ah uses. and that it does not stray from the two extremes Al-Kjayriya and Al-Bayniya (material or moral charity).This moderation is manifested in all aspects of religion, starting with beliefs and behaviour, through rituals and worship, and ending with legislation and transactions, By adopting and applying this term, we cut the way on both ends of estrangement and the exaggeration in claiming this term or distorting through it.

المقدمة

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أمّا بعد؛ فإن دين الله عزَّ وجلَّ وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، وإن الشيطان حريص على إخراج المرء من طريق الاعتدال، ولا يبالي أكان ذلك بتفريط منه أو إفراط، والموفَّق من وفقه الله تعالى، لذا فالمؤمنون يدعون ربهم في أشرف عباداتهم وهي الصلاة قائلين: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [سورة الفاتحة:٤-٧]، والمغضوب عليهم هم أهل الإفراط والغلو، والضالون هم أهل التفريط والجفاء.

قال بعض السلف: «ما أمر الله بأمر إلاَّ وللشيطان فيه نزعتان: إمّا إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه؛ كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين؛ فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه: مضيع له. هذا بتقصيره عن الحد. وهذا بتجاوزه الحد»[(١)].

ومما سبق تأتي أهمية الحديث عن مفهوم (الوسط والوسطية) لما له من قيمة معرفية لها أثرها في علو مقام الفرد والمجتمع وتميزه وتقدمه، ولا سيما في هذا الزمن الذي التبست فيه بعض المصطلحات واستعملت في غير موضعها، ووظفت في غير مكانها.

لذا نجد مصطلح (الأمة الوسط) و(الوسطية) من الشعارات التي كثيراً ما يحاول بعض المسلمين- جماعات وأفراداً- الانتساب لها وادعاء التزامها، وهذا أمر محمود؛ إلا أن الخلل يأتي في تحقيق مناط هذا الوصف في الجانب النظري والتطبيقي.

ومن هذا الباب أحببت أن أحرر مفهوم هذين المصطلحين، وأبين أبرز مظاهرهما، وقد اخترت عنواناً للبحث هو: **(مصطلح الوسط والوسطية بين الإفراط والتفريط)**، وأسأل الله الإعانة والتسديد.

- **مشكلة البحث:**

تقوم مشكلة البحث على السؤال الرئيس: ما المفهوم الصحيح لمصطلح الوسط والوسطية في الإطار الشرعي.

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت: ٤٦٥/٢.

- **ويتفرع منه أسئلة عدة أهمها:**

١/ ما الدلالة اللغوية لهذا المصطلح؟

٢/ ما استعمالات النصوص الشرعية لهذا المصطلح؟

٣/ ما أبرز مظاهر الوسط والوسطية في الإسلام؟

- **أهمية الموضوع:**

تكمن أهمية الموضوع في نقاط عدة، أهمها:

١/ أن مصطلح (الوسط والوسطية) من المصطلحات الشرعية، إذ جاء وصف هذه الأمة بأنها أمة وسط ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ **[سورة البقرة:١٤٣]**. وهو وصف تشريف وتكريم، ومقتضى ذلك يلزم منه معرفة هذا الوسط وإدراكه.

٢/ أن هذا الوصف (الوسط والوسطية) لحق في بعض معانيه عبث وتدليس، فكان لزاماً على أهل العلم تمييز الخبيث من الطيب، و ليس كل من ادعاه متصف به حقيقة.

٣/ أن إبراز مظاهر الوسط والوسطية في الإسلام، تعزيز لجوانب التميز والسماحة والعظمة في ديننا الحنيف، وهذا فيه تقويةٌ وعونٌ للمسلم ولاسيما في هذا الوقت الذي ألحق بالإسلام -ظلماً وعدواناً- تهمة الغلو والتطرف.

- **أهداف البحث:**

١/ بيان الدلالة اللغوية لهذا المصطلح.

٢/ ذكر استعمالات النصوص الشرعية لهذا المصطلح.

٣/ إبراز مظاهر الوسط والوسطية في الإسلام.

- **حدود البحث:**

محددات البحث محصورة في دراسة مصطلح الوسط والوسطية الواردة في الكتاب والسنَّة، مع ذكر مظاهرها التي تدل عليها، دون التوسع فيما فوق ذلك.

- **منهج البحث:**

سرت في البحث باستخدام المنهج الاستقرائي والتأصيلي، فاستقرأ النصوص الشرعية للوقوف على استعمالات الشارع لهذا المصطلح، ومن ثمَّ تأصيل معناه وبيانه ضمن السياق الشرعي.

- **خطة البحث:**

هذه الدراسة أتت من أجل الوقوف على المعنى الصحيح لهذا المصطلح، وتمييز المعنى الصحيح من الخاطئ، بالرجوع إلى دلالته اللغوية، واستعمالات الشارع له، وتطبيقات علماء الأمة، ولهذا قسمت الخطة

على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها مشكلة البحث وأهدافه وأهمية الموضوع

المبحث الأول: معنى الوسط والوسطيَّة في اللغة.

المبحث الثاني: استعمالات مصطلح الوسط والوسطية في النصوص الشرعية:

المطلب الأول: استعمالاته في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: استعمالاته في السنة النبوية.

المبحث الثالث: تحرير معني الوسطية.

المبحث الرابع: أبرز مظاهر الوسط والوسطية في الإسلام.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

هذا أهم ما سأتناوله في هذا الدراسة، وأسأل الله التوفيق والسداد...

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

المبحث الأول

معنى الوسط والوسطيَّة في اللغة

مصطلح الوسطية يرجع إلى الجذر الثلاثي (وَسَطَ) **قال ابن فارس:»** (وسط): الواو والسّين والطّاء: بناء صحيح يدلّ على العدل والنّصف، وأعدل الشيء: أوسطه، ووسطه، قال الله ﷻ ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: من الآية١٤٣]، **ويقولون:** ضربتُ وَسَطَ رأسِه - بفتح السين - ووسْط القوم - بسكونها -وهو أوسَطُهم حسبًا- إذا كان في واسطةِ قومه وأرفعهم محلا»[(١)].

ويتبين من هذا أن كلمة «وسط» تضبط على وجهين:

الأول: «وسْط»؛ بسكون السين. فتكون ظرفًا بمعنى «بين».

قال ابن منظور في لسان العرب: وأمَّا الوسْط بسكون السّين فهو ظرف لا اسم، جاء على وزان نظيره في المعنى وهو (بين)، تقول: جلستُ وسْط القوم، أي: بينهم، ومنه قول سوار بن المضرب:

إنـــيّ كـأنـــيّ أرى مـــن لا حـيـــاء لـه ولا أمـانـــة وسْـــط الـنَّـــاس عُـريـانـًـا[(٢)]

الثاني: «وسَط» بفتح السين، وتأتي لمعانٍ متعددة، منها:

١- اسمًا لما بين طرفي الشيء وهو منه، ومن ذلك: قبضتُ وسط الحبل، وكسرتُ وسط القوس، وجلستُ وسط الدّار، وقد ذكر أبو محمد بن بري أن هذه حقيقة معناها[(٣)].

٢- صفة، بمعنى خيار، وأفضل، وأجود، فأوسط الشيء أفضله وخياره: كوسط المرعى خير من طرفيه، ومرعى وسط، أي: خيار، ورجل وسط ووسيط: حسن[(٤)].

---

(١) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، مادة (وسط): ١٠٨/٦.

(٢) ينظر: محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب،، دار صادر-بيروت، ط: الأولى، مادة (وسط):٤٢٨/٧.

(٣) ينظر: ابن منظور، لسان العرب مادة (وسط):٤٢٧/٧-٤٢٨.

(٤) ينظر: ابن منظور، لسان العرب مادة (وسط):٤٢٧/٧، ٤٣٠.

٣- بمعني عدل، قال ابن فارس: وسط: بناء صحيح يدلّ على العدل، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه[١].

وقال الفيروزآبادي: الوسط - محركة - من كل شيء: أعدله[٢].

٤- **وتأتي:** للشيء بين الجيد والرديء.

قال الجوهري: ويقال: شيء وسط: أي: بين الجيد والرديء[٣].

ومنه ما ورد في حديث زكاة السائمة: ((وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه كل عام، ولا يعطي الهرمة ولا الدرنة ولا المريضة ولا الشرط اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم فإن الله لم يسألكم خيره ولم يأمركم بشره))[٤].

٥- ويقال (وسط) لما له طرفان مذمومان، يراد به ما كان بينهما سالمًا من الذّمِّ، وهو الغالب[٥]، ومثال ذلك: السّخاء وسط بين البخل والتّبذير، والشّجاعة وسط بين الجبن والتهوُّر[٦].

وقد ذكر الجوهري في الصحاح والفيروز آبادي في القاموس عدة تصريفات لمادة (وسط)، منها:

(الوسيط): المتوسّط بين المتخاصمين، **و(التوسط):** بين الناس من الوساطة، **و(التوسيط):** أي تجعل الشيء في الوسط، **و(التوسيط): - أيضًا -** قطع الشيء نصفين، **و(واسطة القلادة):** الجوهر الذي في وسطها، وهو أجودها [٧].

يقول فريد عبد القادر: «استقرّ عند العرب أنهم إذا أطلقوا كلمة (وسط) أرادوا معاني الخير، والعدل، والنصفة، والجودة، والرّفعة، والمكانة العليّة، والعرب تصف فاضل النّسب بأنَّه وسط في قومه، وفلان من

---

(١) ابن فارس, معجم مقاييس اللغة مادة (وسط): ١٠٨/٦

(٢) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط: الثامنة، مادة (وسط):٦٩١

(٣) ينظر: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، مادة (وسط) :٣٣٨

(٤) أخرجه أبو داود, كتاب الزكاة, باب في زكاة السائمة, ح (١٥٨٢), وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٣٠٤١).

(٥) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط: الأولى، مادة: وسط:٨٦٩

(٦) ينظر: فريد عبدالقادر، الوسطية في الاسلام : مفهومها و ضوابطها و تطبيقاتها، مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود: ص ٩.

(٧) ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار،الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، مادة (وسط):١١٦٧/٣, والفيروزآبادي, القاموس المحيط:٦٩٢

واسطة قومه، أي: من أعيانهم، وهو من أوسط قومه، أي: من خيارهم وأشرافهم»[١].

وللطاهر بن عاشور[٢] كلام جميل في الجمع بين معاني الوسط اللغوية، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: من الآية١٤٣]، قال رحمه الله: «**والوسط**»: اسم للمكان الواقع بين أمكنة تحيط به، أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به، ليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعض عرفًا، ولما كان الوصول إليه لا يقع إلاّ بعد اختراق ما يُحيط به، أخذ فيه معنى الصّيانة والعزّة؛ طبعًا: كوسط الوادي لا تصل إليه الرّعاة والـدّواب إلا بعد أكل ما في الجوانب، فيبقى كثير العشب والكلأ، ووضعًا: كوسط المملكة يجعل محلّ قاعدتها، ووسط المدينة يجعل محل قصبتها؛ لأن المكان الوسط لا يصل إليه العدوّ بسهولة، وكواسطة العقد لأنفس لؤلؤة في، فمن أجل ذلك صار معنى النّفاسة والعزّة والخيار من لوازم معنى الوسط عرفًا، فأطلقوه على الخيار النفيس كناية، قال زهير:

هم وسط يرضى الأنامُ بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعضل

ويقال: أوسط القبيلة، لصميمها. وأمّا إطلاق الوسط على الصفة الواقعة عدلا بين خلقين ذميمين فيهما إفراط وتفريط، كالشّجاعة بين الجبن والتهوّر، والكرم بين الشُّحِّ والسرّف، والعدالة بين الرّحمة والقساوة، فذلك مجاز بتشبيه الشيء الموهوم بالشيء المحسوس»[٣].

(١) فريد عبدالقادر، الوسطيَّة في الإسلام: ١٠، وينظر: محمد با كريم محمد با عبد الله، وسطية أهل السنة بين الفرق، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى:١٥-١٨، عَلي مَحَّمد محمد، الوسطية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الشارقة - الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى:١٣-١٦.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس.
مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، توفي عام ١٣٩٣هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام: ٦/ ١٧٤.

(٣) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس:٢/١٧-١٨، وينظر: ناصر سليمان، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، المكتبة الشاملة:٦-١٠.

المبحث الثاني

استعمالات مصطلح الوسط والوسطية في النصوص الشرعية

• **المطلب الأول: استعمالات مصطلح الوسط والوسطية في القرآن الكريم:**

وردت مادة وسط في القرآن الكريم في خمسة مواضع، وبتأمل مواردها يتبين أن معانيها تدور حول المعاني اللغوية لهذه المادة.

- فجاء استعمالها بمعنى:

١- العدالة والخيرية والتوسط بين طرفين:

ومن ذلك: قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [سورة البقرة:١٤٣].

وقد جاء تفسيرها بـ(العدل) بالبيان النبوي -كما سيأتي- .

وفسرها ابن كثير بـ «الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسبا وداراً، أي: خيرها»[(١)].

وفسرها ابن جرير بمعنى التوسط بين الإفراط والتفريط، فقال: «إنَّ(الوسط) في هذا الموضع، هو الوسط الذي بمعنى: الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل «وسط الدار»، وأرى أنّ الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم «وسط»، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله عز وجل، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله عز وجل بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها»[(٢)].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨﴾ [سورة القلم:٢٨].

قال ابن عباس وغيره: «أي: أعدلهم وخيرهم»[(٣)].

٢- الشيء بين الجيد والرديء، أو الأرفع والأدنى.

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية: ٤٥٤/١.

(٢) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر:١٤٢/٣.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم:١٩٦/٨.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ﴾ [سورة المائدة:٨٩].

روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان أهل المدينة يقرون للحر من القوت أكثر ما للمملوك، وللكبير أكثر ما للصغير، فنزلت {من أوسط ما تطعمون أهليكم} ليس بأفضله ولا بأخسِّه»[(١)].

٣- الوسطية الحسية، وهي: ما بين الطرفين وما بين طرفي الشيء وحافتيه.

ومنه قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [سورة البقرة:٢٣٨].

قال أبو جعفر: «وإنما قيل لها(الوسطى) لتوسطها الصلوات المكتوبات الخمس، وذلك أن قبلها صلاتين، وبعدها صلاتين، وهي بين ذلك وسطاهن»[(٢)].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعٗا ٥﴾ [سورة العاديات:٥].

والمعنى: أي: توسطن ذلك المكان كلهن جمع[(٣)].

• **المطلب الثاني: استعمالات مصطلح الوسط والوسطية في السنة النبوية:**

وردت مادة وسط في السنة النبوية في مواضع كثيرة، وسأقف على بعضها مما هو داخل في بحثنا، ومن ذلك:

١- حديث أبي سعيد الخدري الذي سبق ذكره، وف ـ قال: قال رسول الله، ((يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت، فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم، فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنّه قد بلغ {ويكون الرسول عليكم شهيدا}، فذلك قوله جل ذكره: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} والوسط العدل))[(٤)].

وهذا الحديث قد شرح نفسه وبين النبيَّ، أن الوسط بمعنى العدل[(٥)].

---

(١) ينظر: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، أحكام القرآن، المحقق: محمد صادق القمحاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت:١١٨/٤، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى:٥٨٠/١.

(٢) ابن جرير، تفسير الطبري:٥/ ٢٢٧، وينظر: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث:٢٩٥/٢.

(٣) ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم:٤٦٥/٨.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير باب {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} ح (٤٢١٧).

(٥) ينظر: أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية،

٢- حديث عبد الله بن معاوية الغاضري ـ قال: قال النبي ﷺ: ((ثلاث من فعلهنّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: من عبد الله وحده وأنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه كل عام، ولا يعطي الهرمة ولا الدرنة ولا المريضة ولا الشرط اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم فإن الله عز وجل لم يسألكم خيره ولم يأمركم بشره)) [(١)].

والوسط هنا ما بين أجود الغنم وبين السيئ والمعيب، وهو مثل قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [المائدة: من الآية ٨٩] [(٢)].

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله عز وجل ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله عز وجل فاسألوه الفردوس، فإنه **أوسط** الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة)) [(٣)].

قال ابن حجر: قوله: «أوسط الجنة أو أعلى الجنة» المراد بالأوسط هنا: الأعدل والأفضل، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: من الآية ١٤٣]» [(٤)].

وقال القاضي عياض: «الفردوس أوسط الجنة وأعلاها» قيل: أفضلها ويكون أنه أوسطها مساحة، ثم هو مع دلك أرفعها منازل وأفضلها مراتب» [(٥)].

مصر، الطبعة: السابعة:٥/ ٣٢٨.

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، ح (١٥٨٢)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٣٠٤١).

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: ٥٣١/١٠، محمد باكريم، وسطية أهل السنة بين الفرق:٣٣

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله يقال هذه سبيلي وهذا سبيلي ح (٢٦٣٧)

(٤) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري الناشر: دار المعرفة - بيروت: ١٣/٦

(٥) القاضي عياض، مشارق الأنوار:٢٩٥/٢، وينظر: محمد طاهر بن علي الصديقي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة:١٦٢/٢

المبحث الثالث

تحرير معنى الوسطية

ممّا سبق تبين أنّ لفظ (وسط) وما تفرع منه سواء في اللغة أو في استعمالات الشرع يدور على ثلاثة معانٍ تقريباً:

١- العدل.

٢- الخيار والأفضل.

٣- التوسط بين شيئين حساً أو معنى.

بقي بعد هذا أن نحرر معناه في الاصطلاح، بمعنى: متى يطلق لفظ (الوسطية)، أو على ماذا يطلق هذا المصطلح؟ ومن يصدق عليه قولنا بأنه (وسطي).

هذا سؤال كبير تحتاج الإجابة عليه إلى بحوث مطولة.

لكن لعلي أجمع شتات الموضوع وأُلخص ما قيل فيه فيما يأتي:

١/ من الباحثين من ذهب إلى أنَّ مصطلح الوسطية يطلق على العدل الخيار، وعلى هذا فهو مرادف لهما، ولو لم يكن بين شيئين حسا أو معنى.

يقول فريد عبدالقادر: «ومن جملة ما سبق بيانه نستطيع أن نستخلص تعريفاً خاصاً محدداً للوسطية، فنقول: بأن الوسطية هي: مؤهل الأمّة الإسلامية من العدالة، والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجة عليهم... أمّا ما شاع عند الناس وانتشر من الوقوف عند أصل دلالتها اللغوية، أي التوسط بين طرفين، مهما كان موضوع هذا الوسط -الذي تم اختياره- من صراط الله المستقيم، التزاماً وانحرافاً، فليس بمفهوم صحيح وفق ما تبينه الآيات والأحاديث...ولا يلزم لكل ما يعتبر وسطاً في الاصطلاح أن يكون له طرفان، فالعدل وسط ولا يقابله إلا الظلم، والصدق وسط ولا يقابله إلا الكذب»[(١)].

٢/ ومن الباحثين من ذهب إلى أن هذا المصطلح لا يصح إطلاقه إلا إذا توافرت فيه صفتان:

١ - الخيرية: أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل أو العدل.

٢ - البينية: سواء أكانت حسية أو معنوية.

---

(١) فريد عبد القادر، الوسطيَّة في الإسلام: ٢٩-٣٣.

فإذا جاء أحد الوصفين دون الآخر فلا يكون داخلاً في مصطلح الوسطيَّة.

والقول بأن الوسطيَّة ملازمة للخيريَّة - أي أنّ كلَّ أمر يوصف بالخيريَّة فهو (وسط) - فيه نظر، والعكس هو الصّحيح، فكل وسطيَّة تلازمها الخيريّة، فلا وسطيَّة بدون خيريَّة، ولا عكس[1].

فلا بدَّ مع الخيريَّة من البينيَّة حتى تكون وسطًا.

وكذلك البينيَّة - أيضًا - فليس كل شيء بين شيئين أو أشياء يُعد وسطيًّا وإن كان وسطًا. فقد يكون التوسّط حسيًّا أو معنويًّا، ولا يلزم أن يوصف بالوسطيَّة كوسط الزمان أو المكان أو الهيئة ونحو ذلك.

ولكن كل أمر يوصف بالوسطيَّة فلا بد أن يكون بينيًّا حسًّا أو معنى.

ومن هنا نخلص إلى أنَّ أيَّ أمر اتَّصف بالخيريَّة والبينيَّة جميعًا فهو الذي يصحّ أن نُطلق عليه وصف: الوسطيَّة، وما عدا ذلك فلا.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره لآية البقرة - مبيناً أن الوسطية لابد لتحققها من هذين الوصفين-: «قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [سورة البقرة:١٤٣]. وهو تصريح بما فهم من قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة البقرة:٢١٣].أي: على هذا النحو من الهداية جعلناكم أمة وسطاً، قالوا: إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة فهو شر ومذموم، فالخيار: هو الوسط بين طرفي الأمر; أي: المتوسط بينهما. قال الأستاذ الإمام[2] بعد إيراد هذا: ولكن يقال لِمَ اختير لفظ الوسط على لفظ الخيار مع أن هذا هو المقصود، والأول إنما يدل عليه بالالتزام؟ والجواب من وجهين:

(أحدهما): أن وجه الاختيار هو التمهيد للتعليل الآتي ; فإن الشاهد على الشيء لا بد أن يكون عارفا به، ومن كان متوسطا بين شيئين فإنه يرى أحدهما من جانب وثانيهما من الجانب الآخر، وأما من كان في أحد الطرفين فلا يعرف حقيقة حال الطرف الآخر، ولا حال الوسط أيضا.

(وثانيهما): أنَّ في لفظ الوسط إشعارا بالسببية، فكأنه دليل على نفسه; أي: أن المسلمين خيار وعدول; لأنهم وسط، ليسوا من أرباب الغلو في الدين المفرطين، ولا من أرباب التعطيل المفرطين، فهم كذلك في العقائد والأخلاق والأعمال»[3].

وقال الشيخ **عبدالرحمن بن ناصر السعدي** مؤكداً ما سبق:» ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ ، أي: عدلا خيارًا، وما عدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله عز وجل هذه الأمة وسطًا في كل أمور الدّين،

(١) ينظر: ناصر سليمان: الوسطية في ضوء القرآن الكريم:٣٧-٤٨، وعلي محمد محمد، الوسطية في القرآن:٣٣-٣٨.

(٢) يقصد شيخه الأستاذ محمد عبده.

(٣) محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب:٤/٢-٥.

وسطًا في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كل على الوجه اللائق بذلك.

ووسطًا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى.

وفي باب الطّهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصحّ لهم صلاة إلاّ في بِيَعهِمْ وكنائسهم، ولا يطهّرهم الماء من النَّجاسات، وقد حرّمت عليهم طيّبات عقوبة لهم.

ولا كالنصارى الذين لا يُنجسّون شيئًا ولا يُحرّمون شيئًا، بل أباحوا ما دبَّ ودرج.

بل طهارتهم - أي هذه الأمة - أكمل طهارة وأتمّها، وأباح لهم الطيّبات من المطاعم، والمشارب، والملابس، والمناكح، وحرَّم عليهم الخبائث من ذلك.

فلهذه الأمّة من الدّين أكمله، ومن الأخلاق أجلّها، ومن الأعمال أفضلها، ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا: {أُمَّةً وَسَطًا} كاملين معتدلين، ليكونوا: {شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} بسب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على النَّاس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم»[(١)].

ومن النقولات السابقة يتبين أن الوسطية يلزم في تحققها وصفي الخيرية ومرادفاته مع البينية سواء كانت حسية أو معنوية، وما ذكره ابن سعدي من أمثلة على وسطية الأمة خير شاهد على ذلك.

ولعلي أقف على مثال واحد يوضح ما سبق.

مَرَّ معنا حديث عبد الله بن معاوية الغاضري في زكاة سائمة الأنعام، وفيه أن النبي ﷺ، قال: ((ولكن من وسط أموالكم، فإنَّ الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشرّه))[(٢)].

فالبينية ظاهرة في هذا الحديث، لكن الخيرية تظهر في أمرين:

١- أن هذا أمر النبي، وأمره كله خير ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [سورة النور:٥٤].

٢- أنَّنا عندما نُريد أن نستخرج معنى الخيريَّة لا ننظر من طرف واحد فقط، فإذا نظرنا إلى مصلحة الفقير فقط قلنا: إنَّ الخيريَّة في السّمينة السّليمة الأفضل مما هو من أجود الأغنام وأغلاها.

وإذا نظرنا إلى خيريَّة الغني - في الدنيا - قلنا إن الأسهل عليه أن يُخرج الضعيفة الهزيلة ونحوها.ولكن الخيريَّة الكاملة أن ننظر إلى مصلحة الفقير ومصلحة الغني - صاحب المال - جميعًا، دون ترجيح لإحدى المصلحتين على الأخرى، وهذه هي الوسطيَّة، وذلك باستخراج ما بين أفضلها وأضعفها - وهي الوسط -

(١) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى:٧٠.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، ح (١٥٨٢)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٣٠٤١).

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ (المائدة: من الآية ٨٩) .

وهنا اتَّضح لنا التَّلازم بين الخيريَّة والبينيَّة في تحقيق معنى الوسطيَّة[1] .

(١) ينظر: ناصر سليمان، الوسطية في ضوء القرآن الكريم:٤٥.

المبحث الرابع

أبرز مظاهر الوسط والوسطية في الإسلام

مظاهر الوسطية في الإسلام أكثر من أن تذكر، أو تعد فتحصر لكن لعلي أقف على شيء منها حتى تكون شرحاً وتوضيحاً لما سبقها:

أولاً: وسطية الإسلام في العقائد والسلوك:

لقد اعترى جانب العقيدة في هذا الدين ما اعترى غيره من الإنحراف عن المنهج الوسط العدل الذي أراده الله عز وجل في أبواب العقيدة، وتراوح هذا الانحراف بين الغلو والإفراط وبين التفريط والتقصير، وسلم الله عز وجل من شاء من عباده المؤمنين من الانحراف إلى أحد هذين الطرفين، ورزقهم الاستقامة والعدل وطريق الأمة الوسط، وهم أهل السنة والجماعة والاتباع للكتاب والسنة بفهم الصحابة رضي الله عنهم.

ومن مظاهر العدل والوسطية والتوازن في الاعتقاد، ما يأتي:

١- أنّ ملة الإسلام وسط في الملل، فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين، لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود، فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقا وقتلوا فريقا .

بل المؤمنون آمنوا برسل الله عزَّ وجلَّ وعزروهم ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم، ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أربابا، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[سورة آل عمران:٧٩-٨٠][1].

٢- ومن ذلك أن المؤمنين توسطوا في المسيح فلم يقولوا هو الله ولا ابن الله ولا ثالث ثلاثة، كما تقول النصارى، ولا كفروا به وقالوا على مريم بهتانا عظيما، حتى جعلوه ولد بغية كما زعمت اليهود، بل قالوا هذا عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه[2] .

---

(١) ينظر: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، المحقق: ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية:٣/٣٧٠.

(٢) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى:٣/٣٧٠-٣٧١.

٣- وكذلك في صفات الله تعالى، فإن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة، فقالوا: هو فقير ونحن أغنياء، وقالوا يد الله مغلولة، وقالوا إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت، إلى غير ذلك.

والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به، فقالوا: إنه يخلق ويرزق، ويغفر ويرحم، ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب.

والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى، ليس له سمي ولا ند، ولم يكن له كفوا أحد، وليس كمثله شيء، فإنه رب العالمين وخالق كل شيء، وكل ما سواه عباد له فقراء إليه[١].

ثانياً: وسطية الإسلام في الشعائر والعبادات:

الإسلام وسط في عباداته وشعائره بين الأديان والنحل التي ألغت الجانب « الرباني « ـ جانب العبادة والتنسك والتأله ـ من فلسفتها وواجباتها، كالبوذية[٢] التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده .. وبين الأديان والنحل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والإنتاج، كالرهبانية المسيحية[٣].

فالإسلام يكلف المسلم أداء شعائر محدودة في اليوم كالصلاة، أو في السنة كالصوم، أو في العمر مرة كالحج ؛ ليظل دائما موصولا بالله عز وجل غير مقطوع عن رضاه، ثم يطلقه بعد ذلك ساعياً منتجاً، يمشي في مناكب الأرض، ويأكل من رزق الله عز وجل.

ولعل أوضح دليل يُذكر هنا: الآيات الآمرة بصلاة الجمعة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ [سورة الجمعة:٩-١٠].

فهذا شأن المسلم مع الدين والحياة حتى في يوم الجمعة : بيع وعمل للدنيا قبل الصلاة، ثم سعي إلى ذكر الله عز وجل وإلى الصلاة وترك للبيع والشراء وما أشبهه من مشاغل الحياة، ثم انتشار في الأرض وابتغاء الرزق

---

(١) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى:٣/٣٧٢-٣٧٣.

(٢) هي ديانة فلسفية وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد، فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير. وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني، ولقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألَّهوه. ينظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ: ٢/ ٧٥٨.

(٣) الرهبانية في المسيحية، تعني: «طريقة المعيشة المنعزلة عن الناس في خلوة فردية تامة بقصد العبادة».
ينظر: حكيم امين - دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية مع دراسة مقارنه لرهبنه وادي النطرون حتي الفتح العربي - ط المؤلف: ص١.

من جديد بعد انقضاء الصلاة، مع عدم الغفلة عن ذكر الله كثيرا في كل حال، فهو أساس الفلاح والنجاح.

ويقول الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [سورة القصص:٧٧].

وقد كان من دعاء النبي ﷺ: ((اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادى، وأجعل الحياة زيادة لي في كل خير، وأجعل الموت راحة لي من كل شر)) [(١)].

فهذا الدعاء النبوي المأثور، يبين موقف المسلم من الدين والدنيا والآخرة، وأنه يطلبها جميعاً، ويسأل الله أن يصلحها له جميعاً، الدين والدنيا والآخرة، إذ لا غنى له عن واحد منها، فالدين عصمة أمره، وملاك حياته، والدنيا فيها معاشه، ومتاعه إلى حين، والآخرة إليها معاده ومصيره .

وهو مثل الدعاء القرآني الموجز الذي كان ﷺ كثيرا ما يدعو به : ((اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)) [(٢)].

وقل مثل ذلك في قصة الرهط الثلاثة الذين سألوا عن عبادة الرسول، فكأنهم تقالُّوها، فقالوا : وأين نحن من النبي، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؛ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ، فقال: ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني)) [(٣)].

فأي وسطية في الشعائر والعبادات بعد هذه الوسطية [(٤)].

ثالثاً: وسطية الإسلام في التشريع والمعاملات:

وكما أنَّ الإسلام وسط في الشعائر والعبادات فهو كذلك وسط في التشريع والمعاملات ويظهر هذا في باب الحلال والحرام.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ح (٢٧٢٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب {ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار} ح (٤٢٥٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ح (٥٠٦٣).

(٤) ينظر :شبكة السنة وعلومها، مظاهر الوسطية، على الرابط أدناه:

(http://www.alssunnah.com/main/articles.aspx?article_no=4433)

فإنَّ اليهود كما قال الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ [سورة النساء:١٦٠] فلا يأكلون ذوات الظفر؛ مثل الإبل والبط، ولا شحم الثرب والكليتين، ولا الجدي في لبن أمه، إلى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما؛ حتى قيل: إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعاً. والواجب عليهم مئتان وثمانية وأربعون أمراً، وكذلك شُدد عليهم في النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض ولا يجامعوها في البيوت[(١)].

وأمَّا النصارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات وباشروا جميع النجاسات وإنما قال لهم المسيح: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة آل عمران:٥٠]، ولهذا قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة التوبة:٢٩].

وأما المؤمنون فكما نعتهم الله به في قوله﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[سورة الأعراف:١٥٦-١٥٧][(٢)].

- **ومن مظاهر الوسطية في التشريع والمعاملات:**

النظام الاقتصادي الإسلامي القائم على أساس التوازن والاعتدال والوسطية بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي، فهو العدل الوسط بين النظامين المذكورين، فنظامنا يقوم على أساس الحرية الاقتصادية، للحديث النبوي: «دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض »[(٣)]، فلكل فرد حق الكسب الحر، ما لم يصادم الشرع كتجارة الخمور والمخدرات والخنازير وصناعة الأوثان، أو يلحق ضرراً بالأمة والمجتمع كالمراقص والملاهي، لأن (دفع المضار مقدم على جلب المصالح) و (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) و (يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام)[(٤)].

(١) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى:٣٧٢/٣

(٢) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى:٣٧٢/٣-٣٧٣

(٣) أخرجه مسلم، كتاب العتق، باب تحريم بيع الحاضر للبادي، ح(١٥٢٢).

(٤) ينظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، وسطية الإسلام وسماحته، موقع الإسلام: ٨ بتصرف.

ويقرر الإسلام بنظام الملكية الشخصي أو الفردي، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ . . . [النساء: ٦] ما لم يكن التملك من مصدر محظور شرعاً كالربا والميسر والاحتكار والسرقة والمصادرة والغش والإكراه والتدليس والغبن مع التغرير ونحو ذلك، وما لم تصبح الملكية سبيلاً للتملك المطلق والظلم[1].

(١) ينظر: وهبة الزحيلي، وسطية الإسلام وسماحته: ٨ بتصرف.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

ففي نهاية هذا البحث يمكن إيجاز أهم ما توصلت إليه من نتائج، بما يأتي:

١- أن مصطلح الوسطية يعود إلى مادة(وسط) وتدور معانيه اللغوية على(العدل، الخيرية، البينية حسية أو معنوية).

٢- أن استعمالات الشارع لهذا المصطلح في نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة بجميع تصريفاته اللغوية لا تخرج عن المعاني السابقة.

٣- بعد النظر في الدلالة اللغوية والشرعية لمصطلح الوسطية تبين أن هذا الوصف يصدق على من تحقق فيه وصفان:

- الخيرية ومرادفاتها من العدل والأفضل.
- البينية سواءً كانت حسية أو معنوية.

٤- أن الوسطية في الإسلام تجلت في عدة مظاهر، أبرزها وسطيته في العقائد والسلوك، والشعائر والعبادات، والتشريع والمعاملات.

هذا هو أبرز ما تطرقت إليه في هذا البحث، وأسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

- أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، أحكام القرآن، المحقق: محمد صادق القمحاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ.

- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

- أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة.

- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت.

- حكيم امين، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية مع دراسة مقارنه لرهبنه وادي النطرون حتي الفتح العربي، ط المؤلف.

- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط: الأولى - ١٤١٢هـ.

- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

- عَلي مَحَّمد محمد، الوسطية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، الشارقة - الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

- عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

- فريد عبدالقادر، الوسطية في الاسلام: مفهومها و ضوابطها و تطبيقاتها، مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود.

- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب،، دار صادر-بيروت، ط: الأولى.

- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

- محمد باكريم محمد با عبد الله، وسطية أهل السنة بين الفرق، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر.

- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م-بيروت.

- محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، النشر: ١٩٩٠ م

- محمد طاهر بن علي الصديقي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م

- ناصر سليمان، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، المكتبة الشاملة

-محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ

- وهبة بن مصطفى الزحيلي، وسطية الإسلام وسماحته، موقع الإسلام.

Sources and references:

-Ahmed bin Ali Abu Bakr Al-Razi Al-Jassas, Provisions of the Qur'an, Investigator: Muhammad Sadiq Al-Qamhawi, Publisher: The Arab Heritage Revival House - Beirut, date of printing: 1405 AH

-Ahmad Bin Ali Bin Hajar Abu Al-Fadl Al-Asqalani Al-Shafi'i, Fath Al-Bari Sharh Sahih Al-Bukhari, Publisher: Dar Al-Maarifa - Beirut, 1379, his books, chapters and hadiths number: Muhammad Fouad Abdel-Baqi. Abdul Aziz bin Abdullah bin Baz

- Ahmed bin Muhammad bin Abi Bakr bin Abd al-Malik al-Qastalani, Irshad al-Sari to explain Sahih al-Bukhari, Publisher: The Great Amiri Press, Egypt, Edition: Seven.

-Ahmad bin Faris bin Zakaria al-Qazwini, Dictionary of Language Standards, Investigator: Abd al-Salam Muhammad Harun, Publisher: Dar al-Fikr, year of publication: 1399 AH - 1979 AD.

- Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyyah Al-Harrani, Total Fatwas, Investigator: Abdul Rahman bin Muhammad bin Qassem, Publisher: King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an, Medina of the Prophet, Kingdom of Saudi Arabia, Publication: 1416 AH / 1995 AD

- Ismail bin Omar bin Katheer, Interpretation of the Great Qur'an, Investigator: Sami bin Muhammad Salama, Publisher: Dar Taiba for Publishing and Distribution, Edition: Second 1420 AH - 1999 AD

- Ismail bin Hammad Al-Gawhari Al-Farabi, Al-Sahih Taj Al-Lughah and "Sahih Al-Arabiya", T: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Publisher: Dar Al-Ilm for Millions - Beirut

- Hakim Amin, Studies in the History of Egyptian Monasticism and Monastery with a Comparative Study of the Monasticism of Wadi El-Natrun until the Arab Conquest, I.

- Al-Ragheb Al-Isfahani, Al-Mufradat fi Gharib Al-Quran, T: Safwan Adnan Al-Dawdi, Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya - Damascus, Beirut, i: Al-Oula - 1412 AH.

- Abd al-Rahman ibn Ali ibn Muhammad al-Jawzi, The Path to Exegesis, Investigator: Abd al-Razzaq al-Mahdi, Publisher: Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, Edition: First - 1422 A.H.

- Abdul-Rahman bin Nasser bin Abdullah Al-Saadi, Tayseer Al-Karim Al-Rahman in the interpretation of the words of Al-Mannan, Investigator: Abdul-Rahman bin Mualla Al-Luhaiq,

Publisher: Al-Risala Foundation, Edition: First 1420 AH -2000 AD

- Ali Muhammad Muhammad, Moderation in the Noble Qur'an, Library of the Companions, Sharjah - UAE, Library of the Followers, Cairo - Egypt, Edition: First, 1422 AH - 2001 AD

- Iyadh bin Musa bin Iyadh bin Amron Al Yahsabi Al Sabti, Mashariq Al Anwar Ali Seihah Al-Athar, Publishing House: The Antique Library and Heritage House

- Farid Abdel Qader, Moderation in Islam: Its Concept, Controls and Applications, Imam Muhammad bin Saud University Library

- Muhammad bin Makram bin Manzoor, Lisan Al Arab, Dar Sader - Beirut, I: The first

- Muhammad al-Taher bin Muhammad bin Muhammad al-Tahir bin Ashour, Liberation and Enlightenment "Editing the Right Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book", Publisher: Tunisian Publishing House - Tunis, Publication year: 1984 AH

- Muhammad Ba Karim Muhammad Ba Abdullah, the moderation of the Sunnis between the difference, publisher: Dar Al-Raya for Publishing and Distribution, Edition: First 1415 AH-1994 AD

- Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir al-Hanafi al-Razi, Mukhtar al-Sahah, Investigator: Youssef Sheikh Muhammad, Publisher: Al-Mataba al-Asriya - Al-Dar Al-Tamazilah, Beirut - Sidon, Fifth Edition, 1420 AH / 1999AD

- Muhammad bin Jarir al-Tabari, Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an, Investigator: Ahmad Muhammad Shakir

- Muhammad bin Yaqoub Al-Fayrouzabadi, Al-Mutih Dictionary, t: The Heritage Investigation Office at the Al-Resala Foundation, Al-Resala Foundation, i: Eighth, 1426 AH - 2005 AD - Beirut.

- Muhammad Rashid bin Ali Reda, Interpretation of the Wise Qur'an (Interpretation of Al-Manar), Publisher: The Egyptian General Book Authority, Published: 1990 AD

- Muhammad Taher bin Ali Al-Siddiqi, The Bihar Al-Anwar Complex in the strangeness of downloading and Taif Al-Akhbar, Publisher: The Ottoman Department of Knowledge Council Press, Edition: Third, 1387 A.H. - 1967 A.D.

- Nasser Suleiman, Moderation in the Light of the Noble Qur'an, The Comprehensive Library

- Muhammad bin Abi Bakr bin Ayyub bin Saad Shams al-Din Ibn Qayyim al-Jawziyya, The runways of those who walk between the homes of You we worship and You we seek help, t.

The World Assembly of Muslim Youth, The Facilitated Encyclopedia of Contemporary Religions, Doctrines and Parties, Supervision, Planning and Review: Dr. Mana' bin Hammad Al-Juhani, Publisher: Dar Al-Nadwa International for Printing, Publishing and Distribution, Edition: Fourth, 1420 A.H.

- Wahba bin Mustafa Al-Zuhaili, The Modesty and Tolerance of Islam, Islam website.